الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠-١٧)

يا إخوةُ أطلُب إليكم باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيح أن تقولوا جميعُكم قولاً واحداً وأن لا يكونَ بينكم شقاقاتٌ بل تكونوا مكتملينَ بفكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحدٍ* فقد أخبرَني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينَكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لأبلُّوسَ أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* ألعلَّ المسيحَ قد تجزَّأ. ألعلَّ بولسَ صُلِب لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكُرُ الله أنّي لم أعمّد منكم أحداً سوى كرِسبُس وغايوس* لئلَّا يقولَ أحدٌ إني عمَّدتُ باسمي* وعمَّدتُ أيضاً أهلَ بيتِ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحداً غيرهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّرَ لا بحكمةِ كلامٍ لئلَّا يُبطَلَ صليبُ المسيح.

الخبز النازل من السماء

في المقطع الإنجيلي الذي تتلوه علينا الكنيسة في هذه اليوم مشهد إشباع ربّنا المسيح آلافاً من الوافدين إليه، من خمس خبزات وسمكتين، وفي الآية التي تسبق مباشرة هذا النصّ أن الربّ كان قد «مضى في سفينة إلى موضعٍ خلاءٍ مُنفَردا» (متى ١٥: ١٣). في العادة كان الربّ يسوع يختلي هكذا ليصلّي. هنا كان لتوّه قد علم باستشهاد القديس يوحنا المعمدان. يروي لنا النص أن الجموع علموا بمكانه فأتوا إليه «من المُدُن سيراً على الأقدام»، وعلى الأرجح تعَمَّد الإنجيلي إدراج هذين التفصيلَين، ليشير إلى كثرة الآتين إلى يسوع وتعدد مواطنهم، وإلى ما كابدوه من مَشَقَّة المسير. إذذاك خرج هو أيضاً إليهم من خلوته. هم أتوا إليه حاملين ضعفاتهم وتَوقَهم إلى الخلاص، فخرج إليهم هو حاملاً الشفاء والغذاء السماوي. تماماً كما خرج من سماء لاهوته إلى أرض بشريتنا يوم تجسَّد. لعلّه لأجل هذا يبدأ الإنجيلي رواية المَشهَد بعبارة «تحنن عليهم وأبرأ مَرضاهُم».

ضروري أن ننتبه كيف أن السيد المسيح بادر أولاً إلى شفاء الآتين إليه من أمراضهم، قبل أن يقدّم لهم الخبز. الشفاء من يَده والغذاء من يده، وبقوّته الإلهية ومشيئته الخلاصية في الحالتين. هنا يرى آباؤنا القديسون أولى الإشارات إلى سر التوبة (الاعتراف) الذي يشفي النفس من أمراضها (خطاياها) فتتأهّل لتناوُل خبز البَرَكة الجديد، جسد الرب ودمه الأقدَسَين. وفي عبارتَي «تحنَّن» و«شفى»، تأكيد قاطع على أن سر التوبة هو للشفاء والحياة وليس للدينونة والقصاص. حتى الاستماع إلى تعاليم الربّ في إنجيله وفهمها يبقيان مَحجوبَين عن النفس المعمية بخطاياها.

هكذا إذاً شفاهم الربّ من أمراضهم أولاً، فصار لهم أن يمضوا النهار معه يفرحون بعذوبة حضوره ومحبته ورعايته. «ولما كان المساء»، طلب إليه تلاميذه أن يصرف الجموع ليبتاعوا لهم طعاماً. لا شك أن دافع

العدد ٣١ / ٢٠١٧
الأحد ٣٠ تموز
تذكار الرسولين سيلا وسلوانس ورفقتهما
اللحن السابع
إنجيل السَحَر الثامن

التلاميذ كان همّ الناس، وفيه شيء من محبة، ولكنها محبة بشرية لم تبلغ بعد نُضجها: كثيراً ما ننظر إلى الخدمة أو عمل الخير بحسابات بشرية بحتة: المكان قفر والوقت مساء والظرفان صعبان، صحيح، لكن الرب هنا، وهو وحده القادر أن يعيل ويُشبِع.

«أعطوهم أنتم ليأكلوا»، يجيب الرب يسوع، وهو يعرف أنه ليس عند التلاميذ طعام يكفي. الربّ يضع تلاميذه، وعبرهم كل من آمن به على مدى الأزمان، أمام مسؤولية العَمَل بحسب إيمانهم، أي نقل إيمانهم من الذهني النظري إلى العملي المعاش. الربّ يمتَحن المؤمنين به بأن لا يبخلوا بالقليل الذي عندهم، بل أن يقدّموه بفَرَح، والربّ يبارك هذا القليل ويكثّره فيُشبع كثيرين ويبقى منه أكثر. بالحسابات البشرية، يستحيل قَطعاً أن تُشبع خمسةُ أرغفة آلافاً. أما المحبة التي الله محورها، فحساباتها تعاكس كل منطق بشري مألوف. الفُتات الذي بقي من الأرغفة الخمسة (اثنتَي عشرة قفة) هو أكثر من الأرغفة الخمسة نفسها. الكنيسة تقدّم إلى الله من أجل أبنائها عبادات على قدر طاقتها، والله يحوّلها لهؤلاء الأبناء حياة أبدية. في المعمودية نقدّم ماء وزيتاً وصلوات، فيهب الله المعمود روحه القدوس واتحاداً في جسد ابنه الوحيد.

نأتي إلى الرمزية في الخبزات والسمكتين، موضوع المعجزة، والتي لا بدّ من التوقف عندها: الخبزات الخمس ترمز إلى كُتُب الناموس الخمسة (التوراة)، التي بحضور المسيح ما عادت وحدها تكفي للخلاص، وغايتها أصلاً المسيح (رو ١٠: ٤). الناموس الإلهي، وبالأخص لمن صاروا على اسم المسيح، هو المسيح نفسه عبر إنجيله وعيش كنيسته. يرى آباؤنا القديسون في الخبزات أيضاً إشارة إلى الحواس الخمس. لقاء المسيح بمن عايشوا زمان تجسده كان عبر حواسهم كما يقول الإنجيلي يوحنا في مطلع رسالته الأولى «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة». هذه الحواس إن بقيت على ماديتها لا تكفي للحياة. أما متى التقت المسيح وامتلأت منه فهي تتنقى بل وترتقي، لتصبح أدوات اتصال المؤمن الدائم بالسماء. أما بالنسبة للسمكتين، فترمزان إلى مِحوَري العهد القديم أي الشريعة ونبوءات الأنبياء، وهذه كانت كُلُّها تهيئة لمجيء المسيح، وبالمسيح كلّها تَمّت. أما بالنسبة لنا اليوم، أبناء كنيسة المسيح، فالسمكتان هما العهدان القديم والجديد، اللذان تحققا بحضور المسيح وصارا لنا الغذاء المُشبِع.

في إنجيل القديس متى يُشبِع السيد الناس طعاماً مرتين: مرة في معجزة نصنا لهذا اليوم، والثانية في الإصحاح الذي يليه (متى ١٥: ٣٢–٣٨). في حياته العلنية صنع السيد بين الناس آيات ومعجزات لا تُعَد، إثنتان منها فقط موضوعهما الطعام. لا شك أن السيد أراد من هذا أن لا يبقى الناس عبيداً لبطونهم، لحاجاتهم المادية ولشبعهم المؤقت. لقد ترك الناس في إنجيل اليوم بيوتهم وأماكن راحتهم، مشاة، إلى البرّية للقاء الربّ، ولما مال بهم النهار وجاعوا بقوا حيث هم، فأطعمهم عندئذ السيد وأشبعهم وفاض عنهم الكثير. المؤمن الحقيقي يتهيأ

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمان أبصرَ يسوعُ جمعاً كثيراً فتحنَّنَ عليهم وأَبْرَأَ مرضاهم* ولمَّا كان المساءُ دنا إليهِ تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعةُ قد فاتَتْ فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أَعْطوهُم أنتم ليأكلوا* فقالوا لهُ ما عندنا ههنا إلاَّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمَرَ بجلوسِ الجموع على العشبِ. ثمَّ أخذَ الخمسةَ الأرغِفَةَ والسمكتينِ ونظرَ إلى السماءِ وبارَكَ وكسرَ وأعطى الأرغِفَةَ لتلاميذِهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضُلَ من الكِسَرِ إثنتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مملوءَةً* وكان الآكِلونَ خمسَةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اْضطرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِف الجموع.

تأمل

بما أن علّة الشقاقات في كورنثوس كانت ان بعضهم تحزّب لمن منحهم المعمودية، فالرسول بولس يتصدّى للشرّ في جذوره صارخاً: «أباسم بولس قد اعتمدتم؟». ليس المقصود هنا أن يُعرف ما كان عليه خادم المعمودية، بل إنّ الشيء المهمّ الوحيد ههنا إنما هو الإسم المبتَهَل إليه في العماد، لأنه هو وحده ناجع لغفران الخطايا.

يتوقف الرسول دون أن يتفحّص النتائج، فلا يقول مثلًا: «ألعلّ بولس قد وعدكم بالخيرات الآتية؟ ألعلّ بولس من يفتح لكم ملكوت السموات؟». لَم لم يقل ذلك؟ لأنه من غير المستطاع أن يُقارَن وعد كهذا بذبيحة الصليب: من جهة الملكوت ما من خطر وما من خزي، لكن من جهة الصليب كل المساوئ مجتمعة، زد على أن الأوّل (الوعد) يُكفل بالثانية (ذبيحة الصليب). فبعد أن قال بولس: «الله الذي لم يشفق على ابنه الخاص» يضيف «كيف لا يهبنا معه أيضاً كلّ شيء؟» (رو ٨: ٣٢). وقد سبق فقال «إن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله فكم بالحري نخلص بحياته ونحن مصالَحون» (رو ٥: ١٠). لأجل هذا السبب لا يتكلّم عن النتائج وأيضاً لسماع السيد (في الإنجيل) وللجلوس إلى مائدته (في المناولة المقدسة) بالصوم، وبالتوبة لاقتبال الشفاء (بالاعتراف). هذا يترك يومياته، كما تركت الجموع مدنها، ويأتي إلى السيد بالجهاد الروحي كما أتت الجموع مشياً، إلى القفر أي إلى حيث لا يشتت تركيزه على السيد شيء. المسيح، ولكي يقدر أن يحقق فينا خلاصه، يسألنا أن نحصر التركيز به. أن يكون هو وحده، عبر إنجيله وحياة كنيسته، قانون حياتنا الأوحد. كل ما تبقّى هو بالفعل تفاصيل. «أطلبوا أولًا ملكوت الله وبرّه، وهذا كلّه يُزاد لكم» (متى ٦: ٣٣).

في صلاة المساء للأعياد السيدية أو أعياد القدّيسين، نُقيم في الكنيسة خدمة «الليتين» التي نبارك فيها الخبزات الخمس بيَد ربّنا يسوع المسيح سائلينه، وهو الذي بارك الخُبزات الخمس في البّرية وأشبَع منها الآلاف، أن يُبارك أيضاً وبالبركة نفسها هذه الخبزات الموضوعة أمامنا، وأن يُكثّرها في العالم أجمع. هذه الصلاة ليست مجرّد تذكار للحدث الإنجيلي الذي نحن بصدده اليوم، ولا حتى تشبّهاً رمزياً به. هذه الخدمة هي في الكنيسة فعل إيمان بأن المسيح هو مُعيلنا ومُشبعنا، لا في الأمور الروحية وحسب بل وفي مادّياتنا أيضاً. في الإنجيل نقرأ عن إثنتي عشرة قفّة مملوءة من الفضلات بعدما كان الآكلون آلافاً لنفهم أن مُعيلنا المسيح كريم جوّاد. وفي صلاة الغروب نضع حول الخبزات الخمس قمحاً يرمز إلى الضروريات وزيتاً يرمز إلى العذوبة وخمراً يرمز إلى الفرح، وهذه كلّها متى باركها الرب تكثر وتفيض.

سبيل الملكوت

بعدما انتهى اللهُ من تحضير العالم للإنسان المُزمع أن يخلقَهُ، جبلَ تراباً خلق منهُ جسداً، ونفخَ فيهِ من روحِهِ نسمةَ حياةٍ. عندما خلقَ اللهُ الإنسانَ، أعطاهُ طبيعتين: جسديّةً وروحيّةً. وكلّ هذا كانَ لغايةٍ ما.

قبل السّقوطِ، كان الإنسانُ يعيشُ بحسبِ روحِ اللهِ المنفوخةِ فيهِ، أي نعمةِ الرّوحِ القدس. لمْ يكنْ يعيشُ بحسبِ جسدِهِ، لم يكنْ يهتمُّ بما يأكلُ، لم يَعِ أصلاً أنّهُ كان عارياً، لم يُعِر جسدَهُ الماديَّ أيَّ إهتمام. كانَ كلُّ اتّكالِهِ على اللهِ فقط. وبقيَ الإنسانُ على هذهِ الحالةِ، إلى أن أغوتِ الحيّةُ حوّاءَ مجرّبةً إيّاها، مستفيدةً من الحرّيةِ التي وهبَها اللهُ للجنسِ البشريِّ عطيّةً عندما نفخَ فيهِ نسمةَ الحياةِ. اللهُ نفخَ فيهِ روحَهُ فعاشَ والحيّةُ أغوَتْهُ فماتَ.

إنَّ هدفَ كلِّ إنسانٍ مسيحيّ هو ملكوتُ اللهِ وبرُّهُ، بحسب وصيّة السيّدِ «أطلبوا أوّلاً ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ» (متّى٦:٣٣)، الملكوتُ ليسَ مجرّدَ شيءٍ أخرويّ نصلُ إليهِ بعدَ موتنا، بل إنّنا نحياهُ منذُ الآنَ. نعمْ، إنّنا نستطيعُ أن نحيا هذا الملكوتَ ونكونَ منارةً لهذا الملكوتِ. كما نعلمُ، عاشَ القدّيسونَ هذا الملكوتَ ونقلوهُ إلى غيرِهِم. لا يمكننا أن نفصلَ بين أناسٍ عاديّينَ وأناسٍ «قدّيسينَ»، لأنّنا كلّنا مدعوّونَ إلى القداسةِ: «كونوا قدّيسينَ كما أنَّ أباكُمُ السّماويّ قدّوسٌ– كونوا كاملينَ كما أنَّ أباكُمُ السّماويَّ كاملٌ» (متى ٥:٤٨). فلا يجب أن نتكاسل ونتحجّج، «لأننا أُعطِينا حرّيةَ الإرادةِ أما القوّةُ فنحصلُ عليْها منَ اللهِ» (رو ٧:١٨)، بلْ فلننتصبْ أمامَ الربِّ ولنكنْ أعمدةً ناريةً

حاملةً الربَّ يسوعَ ولنكن بأفعالنا هياكل حقيقية للروح القدس، متمّمينَ في أجسادِنا الفانيةِ ملكوتَ اللهِ الأزليّ، مُنيرينَ الآخرينَ بهذهِ الحياةِ السّاميةِ. هذا العيشُ للملكوتِ هو المحبةُ التي هي غريبةٌ عن العالمِ السّاقطِ الذي لا يخرجُ إلى غيرهِ. نستطيعُ أنْ نعيش ملكوتَ اللهِ مسبقًا على الأرضِ وننقلَهُ، فما السّبيلُ لتذوّق هذا الملكوتَ المُشتهى؟

عندما سألَ الشّابُّ الغنيُّ الربَّ يسوعَ في إنجيلِ متّى (١٩: ١٦–٢٤) عن كيفيةِ ربحِ الحياةِ الأبديةِ، أوصاهُ الربُّ طالبًا منهُ حفظَ الوصايا. عندما تبيّنَ أنّ الشّابَ حفِظَها منذُ صباهُ، طلبَ منهُ أنَ يترُكَ أموالَهُ والعالم لكي يكونَ كاملًا. إذاً، السّبيلُ للملكوتِ هو أوّلًا حفظُ الوصايا. وكلمةُ «حفظ» لا تعني ترددَ هذه الوصايا عنْ ظهرِ قلب. حفظُ الوصايا يقتضي العملَ بها، وربُّنا يسوعُ بسّطَ لنا الوصايا المُعطاةَ لموسى، بوصيّتين شاملتين جوهريّتين: «أحبب الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبِكَ ومنْ كلِّ فكرِكَ ومنْ كلِّ قدرتِكَ» و«أحببْ قريبَكَ كنفسِكَ» (مر١٢: ٣٠–٣١). وهذه المحبّةُ هي الدّفةُ التي تُسيِّرُ حياتَنا، التي لا تستطيعُ إلّا أنْ تبذلَ نفسَها في سبيلِ الآخرِ كما فعلَ الربُّ يسوعُ في تدبيرهِ الخلاصيّ: «هكذا أحبّ اللهُ العالَم حتى بذلَ ابنَهُ الوحيدَ» (يو٣:١٦).

قد تبدو هاتانِ الوصيّتانِ سهلتين للوهلةِ الأولى، لكنْ بعدَ التمعّنِ بهما نجدُهما منْ أصعبِ الوصايا. فكيف لنا أنْ نحبَّ اللهَ وجلَّ ما نهتمُّ به هو جسدُنا هذا النتن، وكيف لنا أنْ نحبَّهُ منْ كلِّ قلوبِنا إنْ كانتْ مليئةً بالحقدِ والكراهية؟ لا مكانَ في قلوبنا يَسعُ اللهَ والحقدَ والكراهيةَ والظلم معاً، فإمّا اللهُ أو تلكَ الرذائل وغيرها من مثيلاتِها. وكيفَ لنا أنْ نحبَّهُ بفكرنا إنْ كانَ هذا الأخيُر شاذاً ودنساً؟ أو كيفَ نحبُّهُ بقدرتِنا ونحنُ لا قوّةَ لنا تجاهَ تجارب الشرّير؟

إنَّ محبّة القريب هي مِن محبّة الله، وبالأحرى إنَّ محبَّة الله هي محبَّة القريب، فمَثَلُ الدينونةِ (متى٢٥: ٣١–٤٦) هو خيُر مثالٍ ودرسٍ حول هذا الموضوع. مَنْ صنعَ أعمال الرحمة المسيحيّةِ بإخوتِه الصغار، صنعَها بالربِّ أيضاً، ومن لم يفعلْها، أعرَضها عن الربِّ. مَنْ أحبَّ الآخرَ خلّصَ نفسَهُ ومَنْ أحبَّ نفسَهُ أهلَكها. نستطيعُ أنْ نشبِّهَ العلاقةَ بيَن الإنسانِ واللهِ والآخر بمثلثٍ متساوي الأضلاعِ: كلَّما اقتربْنا من الآخرِ نقتربُ من اللهِ نفسِه إذ إنَّ المسافةَ بيني وبين اللهِ تساوي المسافة بيني وبين الآخر.

إذاً، السّبيلُ الوحيد للعودة إلى حالة الإنسان الأولى، هي بحفظ الوصيّتَين الجوهريّتَين وبالتالي العيش بحسب الروح وليس بحسب الجسد، دون أن ننسى إرادتنا الحرّة التي يجب أن تُفعِّل هذه الحياة، واضعيَن في الربِّ رجاءَ خلاصِنا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

لأنها لم تحدث بعد بل هي وعود. أمّا الأمور التي يتحدّث عنها فكانت وقائع معروفة من الجميع.

«أشكر الله أني لم أعمّد أحداً منكم إلَّا كرسبس وغايوس» (١ كور ١: ١٤). فلمَ تتعظّمون بالتعميد عندما أحمد الله على عدم تعميدي لأحدٍ منكم؟

وبإيضاح فكرته على هذا النحو، يباشر بحكمة في استئصال كبريائهم. لكنّه لا يزعزع قوّة المعموديّة إطلاقاً، حاشا وكلاّ، بل يهاجم فقط غرور من يتفاخرون بمنحها لهم فيُظهر لهم أولًا بأنهم ليسوا الأساس في هذه الهبة قطعاً، ثم يشكر الله على توقفه عن منحها لهم. إنّ المعموديّة لشيء عظيم بالتأكيد، ولكن ما يحقِّق هذا الشيء العظيم ليس هو خادم المعمودية بل ذاك الذي يُبتَهَل إلى اسمه في المعموديّة. فما من شيء ههنا يتأتى عن عمل بشريّ. إن المعمودية لشيء عظيم، وبدون المعمودية لا يمكننا الحصول على ملكوت المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم